مجلة فصل الخطاب Journal of Fasloel-khitab
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 15، عدد رقم:02، جوان 2026، صص: 645 - 659
تاريخ الاستلام(2025/11/10) تاريخ القبول (2026/05/14) تاريخ النشر(2026/06/30)

التغيرات الصرفية و أثرها في إحداث التناغم الصوتي - دراسة في الإعلال والإبدال-

Morphological Changes and theirEffect on CreatingPhoneticHarmony: Vowelization and Substitution

إبراهيم فواتيح عبد الرحيم
جامعة أحمد بن يحي الونشريسي، تيسمسيلت(الجزائر)، a.fouatih@univ-tissemsilt.dz

ملخص:
تهدف هذه الورقة البحثية إلى تتبّع أثر التغيّرات الصوتية عبر اللسان حسب المستوى الفونولوجي؛ من إعلال وقلب و إبدال وغير ذلك من ظواهر تسهم في تشكيل تجانس نوعي يعكس توسّعا دلاليا لبنية النظام اللغوي، فالتنغيم له تأثير قوي في ذهن المتلقي، لأنّ النغمات الصوتية تكون ملازمة له وهي إحدى صفاته، وغالبا ما تؤدي دورا مهمًا في تبليغ المعنى، لذا تتولّد النغمة الصوتية حسب عدد ذبذبات الأوتار الصوتية في الثانية، الأمر الّذي يحتّم لزومية شدّة وقوّة معيّنة لدرجة توتّر الأوتار الصوتية. ونحن بين أيدينا ظاهرة لغوية تحتاج إلى تحليل صوتي وصرفي، ولأنّ تحليل الظاهرة التي تنتمي إلى المستوى الصرفي تختلف عن تحليل الظواهر اللغويّة الأخرى كالمستوى الدلالي والتركيبي، والحالة هذه تتطلّب دراسة معمّقة بالاستقصاء والتتبّع بغية معرفة كيفية التأثير، وكانت هنالك تصانيف تتمحور حول هذه الظاهرة سميت بالإعلال والابدال، كان لها الفضل في رفع الكثير من اللّبس، ولأنّ أحدهما يهتمّ بأحرف العلّة، والآخر يعمل على التغيّرات الطارئة على الحروف الصحيحة، فهذا التقارب في حدوث التغيّرات مكّن حالة من الانسجام والتطابق في الأداء والتناغم. فكيف تحدث هاتان الظاهرتان؟ وما هي الآليات المساعدة على ضبط العملية كي تصبح قاعدة ثابتة تقرأ بها جميع الحالات.

كلمات مفتاحية: تتبّع – صوت – نغمة – ذبذبات – إعلال-إبدال

المؤلف المرسل: إبراهيم فواتيح عبد الرحيم، **الإيميل:**a.fouatih@univ-tissemsilt.dz

Summary:

This research paper aims to trace the impact of phonetic changes in language from a phonological perspective, including iʿlāl (vocalic modification), metathesis, substitution, and other phenomena that contribute to creating a distinctive form of phonetic harmony reflecting the semantic expansion of the linguistic system. Intonation exerts a strong influence on the listener's mind because sound patterns are inherently associated with speech and constitute one of its essential characteristics. They often play a significant role in conveying meaning. Consequently, vocal tone is generated according to the number of vibrations of the vocal cords per second, which necessitates a certain degree of tension and force in the vocal cords. The phenomenon under investigation is a linguistic one that requires both phonetic and morphological analysis. Since the analysis of phenomena belonging to the morphological level differs from the analysis of other linguistic levels, such as the semantic and syntactic levels, the present topic calls for an in-depth study based on investigation and close examination in order to understand the mechanisms of influence involved. Classical linguistic scholarship devoted considerable attention to this phenomenon through classifications known as iʿlāl and ibdāl (substitution), which helped resolve many ambiguities. While the former concerns changes involving weak letters, the latter deals with modifications affecting consonants. This convergence in the occurrence of phonological changes has contributed to a state of harmony, consistency, and phonetic balance in linguistic performance. The study therefore seeks to answer the following questions: How do these two phenomena occur? What mechanisms regulate the process and enable it to function as a stable rule applicable to all relevant cases?

Keywords: tracing; sound; tone; vibrations; (vowelization) iʿlāl; ibdāl (substitution)

1. مقدمة :

يحتاج علم الصرف إلى دراسة واسعة وعميقة، خاصة لما تعلّق في الدراسة بعملية البحث عن دراسة ظاهرتي الاعلال والإبدال وأثرهما في إحداث تناغم صوتي مميّز وتناسق دقيق في انسجام النطق وتفادي الثقل أثناء الممارسة العملية للنطق والتعبير.

وتعتبر ظاهرتا الاعلال والإبدال ذات سمة بارزة تتجلى بوضوح في علم الصرف العربي، الأمر الّذي دفع أرباب اللّغة للاهتمام بهذا الجانب وخصّصوا له أبوابا لدراستهما، ومنهم ابن جني في كتابه المنصف الّذي شرح فيه كتاب شيخه المازني .

فكيف يمكن ضبط الصيغة الترابطية بين الظاهرتين لتقريب الصورة، ورفع اللبس عن النطق السليم، وقوّة التناغم الصوتي؟

فالدرس اللغوي يتناول أيّة ظاهرة لغوية بحثا ومعاينة لإبراز دقائق مكوناتها، وملاحظة ما يحدث لها من تغيّرات صوتية وإيقاعية في التركيب، يعطي تناغما صوتيا بسبب تتابع الحروف أو تبادلها مع بعضها البعض رعاية للتجانس أو عدمه، ومجانبة المساس بالأثر الدلالي الخاص بها، فظاهرتا الصوت والصرف نجدهما في اللّغة متمازجتين، لذلك تكون المفردات متكاملة متواصلة بين الأصوات وعلم الصرف، هذا ما يؤدي إلى إحداث موجات صوتية تنبئ إلى المعنى المطلوب، فتكون لبنة أساسية في رسّ البناء اللغوي ويظهر ذلك من خلال التطبيقات التي نستخرج بها بعض الصيغ الصرفية الدالة على خصائص التغيرات الصوتية.

ولكي نتمكّن من الترسيخ والتتبّث في إظهار المسألة وتفكيك رموزها، علينا تتبّع نماذج بليغة ومتنوّعة حتى نستطيع الولوج داخل الظاهرة، وتمييز الأجزاء وكيفية نطق الكلمة، واستحضار بعض التيسيرات لإفساح المجال بغية الرقيّ والوصول إلى سماع ترانيم عذبة، وغايتنا بهذا البحث هي توضيح أهمية التغييرات الصوتية والصرفية، وأثرها في ضبط المعاني .

1-الإبدال والإعلال في الاصطلاح :

تناول علماء اللّغة ظاهرتي الإعلال والإبدال وكانت لهما رعاية هامة، من حيث الاعتناء والتتبّع، لأنّهما محورا لغة الخطاب، الّتي هي لغة العرب المعروفة لهم، فلأنّها مادتها، والقوانين الّتي تضبطها هي قوانينها، وهي لغة القرآن الكريم الّذي لم يخرج في لغته عن الألفاظ العربية، ولم يشذ في تركيبه عن قواعد اللّغة العربية، لذا لم يتجرّأ أحد من العرب الأقحاح على اعتراض لفظ من ألفاظه، والظواهر اللّغوية الّتي عرفها العرب كذلك تناولها القرآن الكريم على كل المستويات، مثل ظاهرتي الإعلال والإبدال، وما بينهما من قلب وإبدال، وقد تطرّق علماء اللّغة إلى تعريفهما، ورفع اللّبس عن كثير ممّا التبس أمره .

قال ابنُ فارس في فقه اللغة: «من سُنَن العرب إبدالُ الحروف وإقامةُ بعضها مقام بعض: مَدَحَه ومَدَهَه وفرس رِفَلّ ورِفَنّ وهو كثير مشهور قد ألّف فيه العلماء فأما قوله تعالى: {فانْفَلَقَ فكانَ كلُّ فِرْقٍ كالطَّوْدِ}[الشعراء: 63] فاللام والراء متعاقبان كما تقول العرب: فَلَق الصبح وَفرَقه[1] «

يبدو واضحا من اختيار الأمثلة الّتي نجدها غير متداولة بيننا اليوم، كقوله: مَدَحَه ومَدَهَه وفرس رِفَلّ، محاولة لفرض حالة نفسية أو فونولوجية، تنعكس على المتلقي إما بالقبول والرضا أو بالنفور والاستنكار، فقد تمّ إبدال الحاء من الهاء، والأصل مدحه، لقولهم المدح وليس المده، فلا يمكن أن نعتبر هذا من باب القلب المكاني، بل هو خلل في النطق، إما خليقة أو اكتساب انفرادي، فهل نعتبر هذا من الحالات الشاذة أم هي عادات مكتسبة؟

لقد طرح الرسول صلى الله عليه وسلم الأمر على جبريل عليه السلام مستفسرا عن كيفية تعامل القبائل العربية مع القراءة القرآنية، فقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل فقال: يا جبريل إني بُعثت إلى أمة أميين، لا يحسنون القراءة ولو أقرأتهم على لغة واحدة لا يقدرون عليها؛ لأن منهم من جرى لسانه على الإمالة أو الفتح، ومنهم من يغلب على لسانه الإدغام أو الإظهار، ونحو ذلك، ومع هذا منهم المرأة العجوز والشيخ الكبير، وهما عاجزان عن التعلم للكبر، ومنهم الصبي والفتاة الصغيرة، وهما غير متمكنين من القراءة للصغر، ومنهم الرجل المتوسّط الذي لم يقرأ كتابًا قط، فقال جبريل بعد أن راجعه النبي صلى الله عليه وسلم: «يا محمد إن القرآن أُنزل على سبعة أحرف» فليقرأ كل واحدٍ بما يسهل عليه منها[2].

فالقرآن نزل على هذه الوجوه للتخفيف في أوّل الأمر، لأن العرب كانوا متفرقين مختلفين، إذ كان كلٌّ له لغته، ولكن لما جمع بينهم الإسلام، واتّصل بعضهم ببعض، وابتعدوا عن البغضاء والعداوة والشحناء صاروا جسما واحدا إذا اشتكى عضو تداعت له سائر الأعضاء، حيث عرف كلّ ما عند الآخرين من اللّغة، فرأى الصحابة في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه جمع الناس على حرف واحد من الأحرف السبعة؛ وأحرق ما سوى ذلك؛ حتى تنتفي الفرقة ولا يحصل الخلاف ولا الاختلاف، ويتعايش العرب المسلمون حسب المحجة البيضاء.

والذي تجدر الإشارة إليه ولا ضير فيه هو أنّ اختلاف الناس في النطق كان بحسب الفروق الاستيعابية لديهم، كل حسب فهمه وقدرته على النطق، وبما أنّ القرآن نزل من عند الله على سبعة أحرف، والأحرف لغات من لغات العرب ولهجاتها، تيسيرا لتلاوتها على الناس ورحمة من الله بهم، ونقرأ في دروسنا ظاهرة تسمى القلب المكاني حيث يتغيّر مكان

بعض الحروف ندرس هذا في الصرف العربي، فبدل قوله أذهب معك يقول أذهب عماك، هذا بيننا اليوم فما بالك في ذلك الزمن.

وحتى يتمّ الترسيخ والتتبّث في إظهار المسألة وتفكيك رموزها، علينا تتبّع نماذج بليغة ومتنوّعة حتى نستطيع الولوج داخل الظاهرة، وتمييز الأجزاء وكيفية نطق الكلمة، واستحضار بعض التيسيرات لإفساح المجال بغية الرقيّ والوصول إلى سماع ترانيم عذبة، وتناغم صوتي، لذا علينا أن نرفع الستار عن مفاهيم الظاهرتين كي نضبط المعاني، ونلج إلى أغوار هما لمعرفة أهمّ الخصائص التي تميّزهما، وماهي نقاط التلاقي بينهما والفروقات.

ولكي نتمكّن من التفريق بين الإعلال والإبدال لا بدّ من ذكر ضوابط هامة؛ المفهوم، والأنواع.

1-مفهوم الإبدال:

ومعناه: حذف حرف، ووضع آخر في مكانه، بحيث يختفي الأوّل، ويحلّ في موضعه غيره، سواء أكان الحرفان من أحرف العلة -كالأمثلة السالفة- أم كانا صحيحين، أم مختلفين. فهو أعم من "القلب"؛ لأنه يشمل "القلب" وغيره؛ ولهذا يستغنون بذكره عن القلب.

والإبدال قسمان: الإبدال الصرفي أو ما يسمى بالإبدال المطرد، والإبدال اللّغوي غير المطرد.

والإبدال الصرفي يقع في حروف معيّنة، حيث عمد ابن مالك إلى تبيانها في الشافية الكافية، وهي تسعة أحرف جمعها في قوله "هدأت موطيا" ومعنى هدأت سكنت وموطيا اسم فاعل من أوطأت الرحل إذا جعلته وطيئا لكنه خفف همزته بإبدالها ياء لانفتاحها وكسر ما قبلها[3].

الابدال اللّغوي قوله: "الهاء من هرقت أصلها همزة، وهي مبدلة منها للتخفيف وكثرة الاستعمال، والأصل أرقت، كما قالوا في القسم: هيم الله وأيم الله، وهياك وإياك[4].

وقد أشار أبو علي الفارسي إلى ضرورة تقارب الصوتين لاعتبار الكلمتين من الابدال حيث قال: «القلب في الحروف إنما هو فيما تقارب منها، وذلك: الدال والطاء والتاء، والذال

والظاء والثاء، والهاء والهمزة، والميم والنون، وغير ذلك مما تدانت مخارجه. فأما الحاء فبعيدة من الثاء، وبينهما تفاوت يمنع من قلب إحداهما إلى أختها[5].«

وإن كان هناك اختلاف بين القدماء في إمكانية حدوث الإبدال بين من يرى حدوثه في جميع الأصوات سواء تقاربت مخارجه أو تباعدت وبين المشترط لتقارب المخارج، فإنّ البناء الصوتي للمفردات كان السبيل لهذه الدراسات.

2-الإعلال:

هو تغيير حرف العلة للتخفيف، بقلبه، أو تسْكينه، أو حذفه؛ فأنواعه ثلاثة: القلب، والإسكان، والحذف. وبما أن الإبدال: هو جعل مُطْلَق حرف مكان آخر فخرج بالإطلاق الإعلال بالقلب، لاختصاصه بحروف العلة، فكل إعلال يقال له إبدال ولا عكْسَ، إذ يجتمعان فى نحو قال ورمى، وينف فانْفَلَقَ فكانَ كلُّ فِرْقٍ كالطَّوْدِ رد الإبدال فى نحو اصْطَبَر وادَّكر. وخرج بالمكان العِوَض، فقد يكون فى غير مكان المعوَّض منه كتاءَى عِدَة واستقامة وهمزتي ابن واسم[6].

2-1: الإعلال بالقلب:

تحويل أحد الحروف الأربعة إلى آخر منها؛ بحيث يختفي أحدها ليحل محله غيره من بينها؛ طبقا لضوابط محددة يجب الخضوع لها، كقلب الواو ألفا في المثال السالف، وقلب الواو المتوسطة ياء بعد كسرة في مثل: صيام، والأصل: صوام. وكقلب الياء همزة لوقوعها متطرفة بعد ألف زائدة. بناء، والأصل: بناي.

وهذا النوع من التحويل أو القلب شائع مطرد؛ لأنه يخضع -في الأغلب- لقواعد عامة يجري على مقتضاها، فإذا عرفت أمكن الوصول إلى قلب الحرف الذي تنطبق عليه، وسهل الاهتداء إلى أصله إن كان منقلبا عن غيره. وهذا الباب معقود لعرضها، وبيان أحكام القلب الشائع المطرد، أما غير المطرد فمقصور على السماع[7].

وهكذا مع دعاء وبكاء لهما التخريج نفسه، تقلب الواو أو الياء همزة بعد الألف في المصدر أو اسم الفاعل.

2-2 :الإعلال بالتسكين:

وهو أن نحذف حركة حرفِ العلَّة، دفعاً للثّقَل. والثاني نقل حركته إلى الساكن قبله، لأنّ القاعدة تقول الحرف الصحيح أولى بتحمّل الحركة من حرف العلة لذا، فإن كان

الحرف الصحيح ساكنا وحرف العلة بعده متحرك وجب نقل حركة حرف العلة إلى الحرف الصحيح .

ومن الأمثلة على ذلك صوغ اسم المفعول من الفعل: "قال" وهو: "مقول". والأصل: مقْوُول ثم ننقل ضمة الواو إلى القاف قبلها، طبقا للقاعدة الحرف الصحيح أولى بتحمّل الحركة من حرف العلة بضم الواو الأولى. فنقلت ضمة الواو إلى القاف وهو حرف ساكن قبلها. وهذا يسمى: "إعلالا بالنقل" وترتب عليه تسكين حرف العلة الأول. واجتماع حرفين ساكنين متواليين لا يصح اجتماعهما؛ فحذف الأول منهما: وهذا يسمى: "إعلالا بالحذف"؛ وصارت الكلمة إلى: مَقُوْل[8].

3-2 :الإعلال بالحذف:

ينطبق الإعلال بالحذف خاصة على الأفعال المعتلة ونجده فيما يلي:

أ- المثال الواوي: يتمّ حذف حرف العلة من الفعل المضارع والأمر إذا كان الفعل الماضي مبدوءاً بواو، مثل الفعل وعد، فنقول في المضارع يعِدُ وفي الأمر نقول: عِدْ وهذا مع الفعل وزن يزِن زِنْ، وكأنّنا نتجاوز الثقل الحاصل بسبب وقوعها بين ياء وكسرة، ولأنّ علم الصرف يراعي بناء الكلمة وجب مراعاة التخفيف وتجنّب الثقل، وهكذا مع معظم المثال الواوي.

ب- أما معتل العين فيحذف حرف العلة كراهية التقاء ساكنين، مثل قُلْ والأصل قُوْلْ، وقُلْنَ والأصل قُوْلْنَ، فكلاهما فعل أمر، وهكذا مع أفعال الأمر التي يكون فيه حرف العين حرف علة مثل بِعْ وبِعْنَ، فحُذِف حرف العلة، والأصل بِيْعْ وبِيْعْنَ، ففي مثل هذه الحالات يستوجب التصرّف في حرف العلة وليس في الحرف الصحيح، وهذا يكون دائما مع معتل العين

وكذلك عند صياغة اسم المفعول من معتل العين مثل: قال، صان، باع، مقوول، مصون، مبيع .

د- معتل الآخر في أمره؛ مثل: ارْمِ، وادْعُ واقْضِ، وفي المضارع المجزوم، نحو: لم يَرَ ولم يَدْعُ.

3-الفرق بين الإعلال والإبدال:

الفرق بين الإعلال والإبدال من حيث التعريف إنّ معنى الإعلال هو التّغيير الذي يصيب حروف العلّة الألف أو الواو أو الياء للتخفيف، وذلك بتسكينه أو قلبه أو حذفه، بينما يُعرّف الإبدال بأنّه الإتيان بحرفٍ مكان حرفٍ آخر؛ وذلك للتّخفيف ودفع الثّقل[9] .

4 -نماذج تطبيقية :

لدراسة اللّغة يجب مراعاة عدة نواحي ونُظُم منها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية وفق جميع المستويات، فمثلا لدراسة ظاهرة الإعلال لا بدّ من مراعاة الجانب الصوتي مزامنة مع النظام الصرفي، لعقد مقارنات، ودراسة التغيرات الطارئة على الكلمة لمعرفة مدى انسجام عملية النطق للكلمة مع سلاسة أو صعوبة النطق أثناء عملية الضبط المقطعي للكلمة.

ولكي نلمّ ونستقصي أهمية التغيّر الصوتي في الأبنية الصرفية يجب تتبّع وتحليل التغيرات التي تطرأ على هذه الأبنية.

-التغيّرات الصوتية الطارئة في الأسماء المشتقة: اسما المفعول والفاعل :

عندما نتتبّع التغيرات الطارئة في اسمي المفعول والفاعل نجد تغيرات صوتية هامة ودقيقة خاصة في الفعل المعتل العين مثل: قال وبان وباع، ومعتل الآخر، في مثل: محكيّ ومشكيّ ومكويّ وكل فعل كانت لامه حرف علة.

فنبدأ بمعتل الآخر (المقصور) نحو: (أخفى) مضارعه المبني للمجهول يُخْفى، اسم المفعول منه مَخْوُوف ولأنّ الحرف الصحيح أولى بتحمّل الحركة من حرف العلّة نقلنا حركة الواو (الضمة) إلى الخاء قبلها فصارت [مَخُوْفٌ]. فنستخلص من هذا الوزن أنّ الأثر الدلالي للكلمة باقٍ رغم تغيّر النطق (الصوت)، فحدث إعلال بالنقل وهو نقل حركة حرف الواو إلى الحرف الصحيح الخاء.

أما التغيرات الصرفية الطارئة على الكلمات الآتية: آمن- وأواقي- مَرْمِيٌّ – أقامَ – مِيلاَد – تُنْصَرُنَّ هي كالآتي: نبدأ بمهموز الأوّل نحو: آمن: أصلها "أَأْمَنَ"= أفْعَلَ من أَمِنَ= فَعِلَ؛ اجتمعت في أوّل هذه الكلمة همزتان الأولى متحرِّكة بالفتح، والثانية ساكنة، قُلِبَتْ الثانية حرف مدٍّ من جنس الأولى فصارت "آمَنَ."

وعندما نسند هذا الفعل إلى ضمير الجمع (أنتم) نقول تُؤمِنُنَّ، فهي من الفعل المضارع تؤمنون وعند تأكيده بالنون الثقيلة تصير: "تؤمنونَنَّ"، ولتوالي الأمثال (النونات) حذفنا النون الأولى (نون الرفع)، ثمّ لالتقاء الساكنين حذفنا الساكن الأوّل (ساكن الواو)، فصارت تُؤمنُنَّ، ومن هنا تتمايز الأصوات في نطق الفعل تؤمنُنّ.

أما كلمة أواقي[10]، فأصلها وَوَاقِي من الفعل الثلاثي "وَقَى " فلما وقعت واوان في أوّل الكلمة وجب قلب الواو الأولى همزة فصارت أواقي.

وإذا انتقلنا إلى كلمة "أقَامَ" فأصلُها أقْوَمَ على وزن "أَفْعَلَ" من الفعل الثلاثي قام-قَوَمَ، ثُمَّ نقلنا حركة الواو إلى القاف، فصارت "أَقَوْمَ"، ثمَّ قُلِبَتْ الواو ألفاً لِمُجانسة الحركة "أقامَ ."

هذا معتل العين ومهموز الأوّل، ومثله كلمة ميلاد الّتي أصلها" مِولاَد" من الفعل الثلاثي "ولَدَ"، فلما وقعت الواو بعد كسرة قُلِبت الواو ياءً لِتُجانس الكسرة.

هذا مع معتل العين، أما معتل الآخر وهو المقصور فيختلف الأمر، وتعدّد المزايا في النطق بسبب نوعية الحرف والحركة، التي تنساب بين الضمّ والكسر، فمثل كلمة مَرْمِيٌّ نجد أصلها مَرْمُوْيٌ على وزن مفعول، لعدم تجانس الواو مع الياء وجب إبدال الواو ياءً ثمّ أدغمْنا الياءَيْن وقلبنا حركة الميم من ضمَّة إلى كسرة لتناسب الياء فصارت "مَرْمِيٌّ."

وهكذا نجد جميع الأفعال معتلة الآخر المختومة بالواو والياء يُتعامل معها بالشكل نفسه، فمثلا بَنَى يُبْنى اسم المفعول منه مَبْنُوي ولالتقاء الواو والياء متطرفتين وجب قلب الحرف المزيد (الواو) حرفاً يجانس حرف الياء وهو حرف أصلي (مبنيي) ندغم الياءين ثمّ نقلب ضمة حرف النون كسرة لتناسب الياء بعدها فصارت (مَبْنِيٌّ).

أما كلمة غَزَا يَغْزُو فاسم المفعول منه هو (مَغْزُوو) ندغم الواوين فتصبح (مَغْزُوٌّ)، فالتقى الواوان واو المفعول وواو الفعل غزى، فالألف المقصورة تثقلبُواواً لمجانسة واو مفعول، فصارت مغزوو بدل مغزوى .

ونجد كلمة كَسَا يُكسَى اسم المفعول منها هو (مَكْسُويٌّ) ولالتقاء الواو والياء متطرفتين وجب قلب الحرف المزيد (الواو) حرفاً يجانس حرف الياء وهو حرف أصلي ثمّ ندغم الياءين، ثمّ نقلب ضمة حرف النون كسرة لتناسب الياء بعدها فصارت (مَكْسِيٌّ).

وهكذا مع بقية الأفعال المقصورة مثل حَكَى يُحكَى، فاسم المفعول منه هو (مَحْكُوي) ولالتقاء الواو والياء متطرفتين وجب قلب الحرف المزيد (الواو) حرفاً يجانس حرف الياء وهو حرف أصلي ثمّ ندغم الياءين، ثمّ نقلب ضمة حرف النون كسرة لتناسب الياء بعدها فصارت (مَحْكِيٌّ).

ولفظ منهار ماضيه انهار والمبني للمجهول منه هو: أُنْهُيِر، نصوغه على وزن مفعول فنقول مُنْهَار لأنَه فوق الثلاثي، بحيث نصوغه من مضارعه بقلب حرف المضارعة ميما مضمومة وفتح ما قبل آخره فمضارعه هو يُنْهَيَرُ، فنقول مُنْهَيَر ثم نقلب الياء ألفا لتناسب الفتحة قبلها، مُنْهَار.

أما لفظ مكتال فهو من كال، فنصوغه من مضارعه يُكتيَل وذلك بقلب حرف المضارعة ميما مضمومة وفتح ما قبل آخره، ثم نقلب الياء ألفا لتناسب الفتحة قبلها، مُكتَال.

-وكذلك الأمر مع كلمة مهيب حيث تنحدر من الفعل هاب يُهاب، فنصوغ منه اسم المفعول فنقول مهيوب، ولأن الحرف الصحيح أولى بتحمُّل الحركة من حرف العلة وجب نقل حركة الواو (الضمّة) إلى حرف الهاء فنقول: مَهُيب ثم قلبنا حركة الضمّ كسرة لتناسب حرف الياء بعدها فصارت مهيب.

وكلمة مَرْثِيّ فهي على وزن مفعول من الفعل (رُثِيَ) ولما نصوغه على وزن مفعول يصير مَرْثُوي ولما وقعت الياء متطرّفة قبلها ياء ساكنة وجب قلب الواو ياءً لتجانس الياء بعدها ثمّ ندغم الياءين ونقلب حركة الثاء من ضمّ إلى كسر لتناسب الياء بعدها فصارت (مَرْثِيٌّ).

–مَقُوْل: على وزن مفعول من الفعل قيل قُوِلَ، ولما نصوغه على وزن مفعول يصير (مَقْوُول) وطبقاً للقاعدة القائلة : الحرف الصحيح أولى بتحمُّل الحركة من حرف العلّة نقلننا ضمّة الواو إلى القاف قبله ولالتقاء ساكنين حذفنا الساكن الأوّل فصارت : مَقُوْل .

والفعل صان نَبْنِيهِ للمجهول فنقول: صُوِنَ على وزن فُعِلَ، ثمّ نصوغ منه اسم المفعول فنقول: مَصْوُون، ولأن الحرف الصحيح أولى بتحمُّل الحركة من حرف العلة وجب نقل حركة الواو (الضمّة) إلى حرف الصاد فنقول: مصُوون ثم نحذف الساكن الأوّل لالتقاء الساكنين، فتصبح: مَصُون. وجاء في درة الغواص في أوهام الخواص، عن هذه الصيغة ما

قوله: «وَالْأَصْل فِي مصون مصوون على وزن مفعول، فنقلت حَرَكَة الْوَاو إِلَى مَا قبلهَا، فاجتمعت واوان ساكنتان، فحذفت إِحْدَاهمَا.

وقد رأى سِيبَوَيْه أَن المحذوفة هِيَ الْوَاو الثَّانِيَة الَّتِي هِيَ وَاو الْمَفْعُول المزيدَة، وَأَن الْبَاقِيَة هِيَ الْوَاو الْأَصْلِيَّة المجتلبة من الصون، وأما أبو الْحسن الْأَخْفَش فيرى أَنّ الواو المحذوفة هِيَ الأولى وَأَن الْبَاقِيَة هِيَ وَاو الْمَفْعُول الَّتِي تدل على الْمَعْنى، وسبب حدوث ذلك هو القصدُ إلى إعلال الْمَفْعُول كَمَا أعل الفعلان وَالْفَاعِل وَذَلِكَ أَن الأَصْل فِي صان صون بِفَتْح الْعين، فقلبت الْوَاو ألفا لتحرّكها وانفتاح مَا قبلهَا[11] «

كما نجد الفعل دَانَ (من الدَيْن) فنأتي منه بالمبني نقول دُيِنَ مديون ولتطرف الواو والياء نقلب الواو ياء لأنها مزيدة ثم نقلب الضمة كسرة لتناسب الياء فصارت: مَدِين.

– رَمَى: رُمِيَ مَرْمُوي ولتطرّف الواو والياء نقلب الواو ياء لأنها مزيدة ثم نقلب الضمة كسرة لتناسب الياء فصارت: مَرْمِيٌّ.

وإذا حاولنا توضيح التغيرات الواردة في رياضة وهي كلمة على وزن فِعالة فنجدها مشتقة من الفعل راض يروض، فنصوغ هذ- دَانَ (من الدَيْن) نقول دُيِنَ مديون ولتطرف الواو والياء نقلب الواو ياء لأنها مزيدة ثم نقلب الضمة كسرة لتناسب الياء فصارت: مَدِين.

والفعل رَمَى مبني للمعلوم، والمبني للمجهول رُمِيَ واسم المفعول منه هو مَرْمُوي ولتطرّف الواو والياء نقلب الواو ياء لأنها مزيدة ثم نقلب الضمة كسرة لتناسب الياء فصارت: مَرْمِيٌّ. فصار الإعلال بالقلب وبالنقل.

كما نجد كلمة رياضة على وزن فِعَالة أصلها رِواضة، فقلبنا الواو ياءً لتناسب الكسرة قبلها، فصارت رياضة، حيث صار الاعلال بقلب حرف الواو ياءا، مثل كلمة صيام التي أصلها صوام إذ قلبت الواو ياء مراعاة للكسرة التي تناسبها الياء .

هذا يخصّ صيغة اسم المفعول، أما اسم الفاعل فنجده في مثل كلمة جوائز وهي جمع لجائزة من الفعل جاز يجوز جَوَزَ، ولما صغنا منها اسم الفاعل صار: جاوِز مؤنثه جاوزة، ولما وقع حرف الواو بعد الألف في اسم الفاعل وجب قلب الواو همزة فصارت: جائزة.

– فائدة: أصل الهمزة ياء (فايِدَة) من الفعل فَيَدَ ولما وقع حرف الياء بعد الألف في اسم الفاعل وجب قلب الياء همزة فصارت: فائدة.

هذا النوع من التحويل اللّفظي في الحروف والحركات لا يقتصر على الإعلال وحده، بل تتجاوزه إلى ظاهرة الإبدال التي تُعنَى بالحروف الصحيحة بعدما كانت ظاهرة الإعلال تقتصر على حروف العلة.

فنجد في عدة محطات عندما نقف عند بعض الكلمات الموحية بمعاني مختلفة، فمثلا الكلمات: [تقيك – تيسّر – التزوّد - ندّخر –يطّرد] نصوغها على وزن افتعل ـ لنتبيّن ما حدث فيها من تغيير.

فكلمة تقيك من الفعل وَقِيَ نصوغها على وزن افتعل فنقول: اِوْتَقَى ولثقل في النطق أبدَلْنا الواو تاء لتجانس التاء بعده ثمّ نُدغِم التاءين فتصبح اِتَّقى. وهذا في إطار إبدال فاء الافتعال.

وكلمة تيسّرَ من الفعل يَسَرَ نصوغه على وزن اِفْتَعَلَ فنقول: اِيْتَسَر ولثقل في النطق أبدَلْنا الياء تاء لتجانس التاء بعدها، فصارتْ: اِتَّسَرَ. وهذا في إطار إبدال فاء الافتعال.

أما مع لفظ التزوّد الّذي هو من الفعل زَوَدَ فنصوغه على وزن افتعل فنقول: اِزْتَوَدَ ثمّ نستشعر خللا في نطق كلمة بهذا الشكل فنضطرّ لإبدال التاء زاياً لتجانس الزاي قبلها وهذا في إطار إبدال تاء الافتعال فنقول: اِزْزَوَدَ ثمّ ندغِم الزايَيْن فتصيرا: اِزَّوَدَ .

أما كلمة ندّخر فهي من الفعل دَخَرَ نصوغها على وزن اِفْتَعَلَ فنقول: اِدْتَخَرَ ثمَ نُبْدِل التاء دالاً لتجانس الدال قبلها فتصبح اِدّخَر وذلك بإدغام الدالين في إطار إبدال تاء اِفْتَعَلَ .

وكذلك الأمر مع الفعل يطّرد الّذي هو من الفعل طَرَدَ يُطرَد، نصوغه على وزن افتعل فنقول: اطْتَرَدَ ولعدم تجانس الحرفين الطاء والتاء أبْدَلْنا التاء طاءً لتجانس الطاء قبلها فتصبح اطْطَرَدَ ثمّ نُدغم الطاءين فتصير: اطَّردَ.

من ذلك نستنتج أن التغيرات الصوتية مرهونة بتقارب مخارج الحروف وصفاتها، فما دام التغير قد أصاب الكلمات التي تتركب من حروف متعاقبة متقاربة المخارج والصفات، فهي تخضع لقوانين علم الصرف الذي يفسر طريقة نطقها. ويمكن للبناء الصرفي أن يصوغ مركبات صوتية مشابهة كل الشبه للمركبات المتغيرة مع ملاحظة سلاسة في النطق .

وقد ذكر حسن عباس مجموعة من الأمثلة عن الإعلال والإبدال قد تتقاطع مع الأمثلة التي ذكرناها فنسردها كما ذكرها:

فيما يأتي بعض الأمثلة على الإعلال والإبدال[12]: {وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ}.[البقرة: 237] تنسوا: إعلال بالحذف، فقد حذفت الألف من آخر الفعل منعًا من التقاء السّاكنين. قال أبو تمّام: بيضُ الصَفائِحِ لا سودُ الصَحائِفِ في ** مُتونِهِنَّ جَلاءُ الشَكِّ وَالرِيَبِ

الصّفائح: إبدال، فقد أبدلت الياء همزة، لأنّها جاءت بعد الألف في صيغة ما يشبه "فعائل". الصّحائف: إبدال، فقد أبدلت الياء همزة، لأنّها جاءت بعد الألف في صيغة ما يشبه "فعائل". إنّ السماءَ صافيةٌ جميلةٌ. السماء: إبدال، أبدلت الواو همزة لأنّها تطرّفت بعد ألف زائدة. ترد هذه الأسئلة في الامتحان باستمرار. ترد: إعلال بالحذف، حذفت فاء الفعل المعتل المثال "ورد" لأنّها جاءت على صيغة المضارع. حكم القاضي للمظلوم فأعاد له حقّه. القاضي: إعلال بالتّسكين، لأنّه تطرّفت ياء ساكنة بعد حرف مكسور. اضطرب علم البلاد في السّماء. اضطرب: إبدال، أبدلت تاء "افتعل" طاءً لأنّها جاءت بعد أحد أحرف الإطباق وهو الضاد. اتّحد العربُ ضدّ العدو الغاصب. اتّحد: إبدال، أبدلت الواو من الفعل المعتل المثال تاءً لأنّها جاءت فاءً في صيغة افتعل. العدو: إعلال بالتّسكين، لأنّها جاءت واو ساكنة وما قبلها مضموم. قوله تعالى: {قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ}.[٩] ميقات: إعلال بالقلب، قلبت الواو ياءً لأنّها جاءت ساكنة بعد حرف مكسور. قال الرجل قولًا كريمًا. قال: إعلال بالقلب، قلبت الواو ألفًا لأنّ الواو جاءت متحرّكة بعد حرف مفتوح.

الخاتمة:

حاولنا في هذه الدراسة إلقاء الضوء على التغيرات الصوتية التي تتعرض لها الأبنية الصرفية من خلال ظاهرتي الاعلال والابدال، وقد وقفنا على المواضع التي تقع فيها التغيرات اللغوية، إذ وجدنا أنها تنتج على وجه الخصوص لاعتبارات صوتية. ولكن لا بد من الإشارة إلى أن التغيرات الصوتية يجب أن تكون لدى العقل قابلة للتغيّر، فمسوغات التغير الصوتي للأبنية الصرفية بأن يحل بعض الحروف محل البعض أو بعض الحركات محل بعض لا يتأتى إلا لحاجة ما دام في الإمكان.

إن البنية الصرفية تُظهر تميّزها من خلال المعاملات الصوتية، ويتجلى ذلك من خلال التميّز القائم في نبر الكلمات الذي يوحي بأثرها الدلالي ويعبر عن قيمتها الصرفية، إذ تحمل من المعنى ما تبلغ به مصاف الاكتفاء.

1 -الإبدال القياسي يتقيد بموضع المحذوف، والإعلال القياسي يتقيّد بأحرف العلة. والقلب نوع من الإعلال.

2 -للإبدال الصرفي الشائع "أي: القياسي" وللإعلال ضوابط وقواعد عامة، يمكن -في الأغلب- الاعتماد عليها في إجرائهما إجراء مطردا واجبا، وفي معرفة نوع الحرف الذي تغير بسببهما. أما بعض أنواع الإبدال غير الشائع "أي: غير القياسي" فالاعتماد في فهمهما مقصور على المراجع اللغوية؛ إذ ليس لهما ضوابط ولا قواعد عامة.

3 -المراد من لفظ الإبدال عنده ذكره بغير تقييد هو ما يسمى: "الإبدال الصرفي الشائع، أو الضروري، أو اللازم.

7. الإحالات والهوامش:

[1]- جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ 1998م، 35/1ب05.

[2]- مجلة البيان (238 عددا)، تصدر عن المنتدى الإسلامي. 151/ 126.

[3]- حسن عباس، النحو الوافي دار المعارف، الطبعة الخامسة عشرة، 4/ 761.

[4]- محمد بن علي الهروي، إسفار الفصيح، تح: أحمد بن سعيد بن محمد قشاش، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1420هـ، 1/ 180.

[5]- أبو الفتح عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، دار القلم – دمشق، الطبعة الأولى، تح: حسن هنداوي، ص:180، وينظر: أبو إسحق إبراهيم بن موسى الشاطبي، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية (شرح ألفية ابن مالك)، تح: مجموعة محققين، الطبعة الأولى، 1428 هـ - 2007 م، 8/ 348.

[6]- ينظر: أحمد بن محمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، تحق: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، مكتبة الرشد الرياض، ص: 122.

[7]- حسن عباس، النحوالوافي،4/ 757.

[8]- ينظر: حسن عباس، النحو الوافي دار المعارف، الطبعة الخامسة عشرة، 4/ 757.

[9]-ينظر: أيمن أمين عبد الغني، الصرف الكافي، صفحة 387..

[10]- قَالَ أَبو مَنْصُورٍ: خمسُ أَواقٍ مِائَتَا دِرْهم، وَهَذَا يُحَقِّقُ مَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَدْ وَرَدَ بِغَيْرِ هَذِهِ الرِّوَايَةِ: لَا صَدَقة فِي أَقَلَّ مِن خمسِ أَواقٍ، ينظر: جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ 15/ 404

[11]- ينظر: القاسم بن علي الحريري، درة الغواص في أوهام الخواص، تح: عرفات مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1998/1418، ص: 70

[12]- ينظر:حسن عباس، النحوالوافي،758/4.

قائمة مصادر البحث ومراجعه:

1. أبو الفتح عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، دار القلم – دمشق، الطبعة الأولى، تح: حسن هنداوي.

2. أبو إسحق إبراهيم بن موسى الشاطبي، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية (شرح ألفية ابن مالك)، تح: مجموعة محققين الطبعة الأولى، 1428 هـ - 2007 م.

3. أحمد بن محمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، تحق: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، مكتبة الرشد الرياض

4. أيمن أمين عبد الغني، الصرف الكافي، دار التوفيقية للتراث، 01/يناير/2010م.

5. -جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ 1998م.

6. -حسن عباس، النحو الوافي، دار المعارف، الطبعة الخامسة عشرة.

7. -محمد بن علي الهروي، إسفار الفصيح، تح: أحمد بن سعيد بن محمد قشاش، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1420هـ.

8. القاسم بن علي الحريري، درة الغواص في أوهام الخواص، تح: عرفات مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1998/1418.